



استخدام الفتن والحروب الطائفية سياسة إيرانية قديمة افتعلتها الحركة الشعوبية الفارسية في العهود السابقة جاعلة من المذهبية عنصر التزام حزبي لتحقيق غايتها. و عند قيام الدولة الصفوية (905 هـ 1148 هـ) التي بُنيت على أساس مزج القومية بالمذهبية، كشفت تلك الحركة الشعوبية عن نواياها الحقيقية بوضوح فكما هو معلوم أن الدولة الصفوية التي تبنت التشيع الإثني عشري مذهبياً رسمياً لها، قد قامت على إبادة أهل السنة الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم لبلاد فارس حيث لم يكن وجوداً حقيقياً للمذهب الشيعي الإثني عشري في تلك البلاد آنذاك و إذا كان من شيعة في بعض المناطق الشمالية والشرقية لإيران فهم من الشيعة الزيدية والشيعة الإسماعيلية من جماعة الحسن الصباح (الحساشون).

وتذكر الروايات الإيرانية أن إسماعيل الصفوي عندما استولى على مدينة تبريز واجه صعوبة بالحصول على مؤذن واحد يلقط كلمة "أشهد أن علياً ولِي الله" حيث لم يسبق لتلك المدينة التركية اللغة وسننية المذهب أن تعرفت على مثل هذه الجملة من قبل.

وعلى الرغم من عدم معرفة السبب الحقيقي الذي دفع بالصفويين للتغيير لقب جدهم صفي الدين الأردبيلي من شيخ إلى " سيد " وربط نسبهم بالإمام السابع للشيعة (موسى بن جعفر) وتبنيهم المذهب الإثني عشري ليصبح مذهبياً رسمياً لدولتهم، إلا أن بعض المؤرخين الإيرانيين لا يتزدرون في الربط بين رغبة الكنيسة الشرقية التي كانت تسعى جاهدة آنذاك لفتح جهة في

الشرق لإضعاف الإمبراطورية العثمانية وإشغالها عن التقدم نحو الغرب من جهة، وبين العلاقة العائلية التي كانت تربط تلك الكنيسة بالأسرة الصفوية من جهة أخرى، حيث كانت والدة الشاه إسماعيل الصفوی أرمنية تنحدر من إحدى أسر بلاط الملكي الروماني.

كما ربط بعض هؤلاء المؤرخين بين قيام الدولة الصفویة و ظهور الحركة اللوثرية البروتستانتية في أوروبا، ولهذا السبب يعللون اعتماد الصفویین على علماء شيعة لبنان لكونهم كانوا على تواصل و مقربة من المسيحيين والأفكار المسيحية دون غيرهم من مشايخ الشيعة الآخرين وعلى الأخص مشايخ الشيعة في العراق الذين لم تكن لهم حظوة لدى الدولة الصفویة.

الصفویون وبعد أن فرضوا مذهبهم بقوة السيف في بلاد فارس، سعوا إلى توسيع دائرة سلطانهم و نشر مذهبهم إلى خارج الحدود و بدؤوا بغزو أفغانستان و بخارى و سمرقند مرتكبين مجازر دامية، ثم بعد ذلك توجهوا إلى الغرب واحتلوا بغداد و حفروا قبر الإمام أبي حنيفة ثم توجهوا جنوباً واحتلوا الأحواز وأطاحوا بدولة المنشعسين.

وبقيت حروبهم على أهل السنة مستمرة حتى غزا الأفغان بقيادة "محمود الأفغاني" مدينة أصفهان عاصمة الصفویین واحتلها وهـ ملکـهم.

و رغم اندحار الأسرة الصفویة وتولي الأسرة الإلخانية زمام الملك في بلاد فارس إلا أن الحرب على الفكر والمذهب السنی لم تتوقف من قبل تلك الدولة وكانت الحروب المتواصلة مع الدولة العثمانية تمثل أحد أوجه الحرب الطائفية.

ولو استثنينا فترة حكم نادر الشاه الإلخاري (1160 - 1148 هـ) التي شهدت ما يشبه الهدنة مع أهل السنة فإن الأنظمة التي أعقبت الدولة الإلخانية قد واصلت نهج الصفویین وإن كان ذلك بطريق وسائل مختلفة.

ولم يكن النظام البهلوی (1926 - 1979) العلماني مستثنى من الأنظمة الصفویة والإلخانية والقاجارية التي قادت الحروب الطائفية، فقد كان النظام البهلوی قد دعم وبشكل كبير حوزة قم و النجف أيام مرجعيات البروجردي ومحسن الحکیم و الخوئی الذين سعوا إلى التمدد عبر بناء المؤسسات في مصر و الهند ولبنان وغيرها من الدول الأخرى حيث كانت تعمل على نشر الفكر الطائفي الصفوی كما أن عمل بعض تلك المؤسسات يتذبذب وسيلة لجمع المعلومات الاستخباراتية لصالح نظام الشاه، كما هو الحال في الوقت الحالي حيث تقوم أغلب هذه المؤسسات بالتجسس لصالح النظام الإیرانی أو تنفيذ مخططاته في نشر الفتن وخلق النزاعات بين أبناء البلد الواحد.

وتؤكدأ لذلك فمن طريق ما ينقله أحد وكلاء مرجعية حوزة النجف في مصر فترة السبعينيات وهو السيد "طالب الرفاعي" المقيم في أمريكا حالياً، (وهو الذي صلى على جنازة الشاه الإیرانی محمد رضا بهلوی الذي مات و دفن في القاهرة عام 1980)، إنه وحين كان في زيارة لآية الله محسن الحکیم في النجف سأله صهر الحکیم و مدير مكتبه "إبراهيم البزدي الطبطبائي" قائلاً له، يا سيد طالب أين وصلت في نشر مذهبنا في مصر، هل جعلت المصريين يلغون عمر بن الخطاب؟.

ومع انتصار الثورة الإیرانیة وقيام نظام ما يسمى بالجمهوريـة الإسلامية، فقد أصبحت سياسة تصدير التشيع الصفوی جزءاً من استراتيجية نظام الملالي لخلق الفتـن الطائـفـية و شـق صـفـوف المجتمعـات العـرـبـية و الإـسـلامـيـة متـخذـاً من شـعار التـقـرـيب بين المذاهـب و سـيـلـة للـلـغـطـيـة على أـهـدـافـهـ الحـقـيقـيـةـ التي تـضـمـرـ العـدـاءـ وـالـكـراـهـيـةـ لأـتـيـاعـ المـذاـهـبـ الإـسـلامـيـةـ.

وبهذا الخصوص يقول زعيم أهل السنة في إیران " و الذين ينتـمون إلى أقوام وشعوب مختلفة "الشيخ عبد الحميد مرادـزـي " إن أهلـ السـنةـ يـمـثـلـونـ 25ـ فيـ المـئـةـ منـ سـكـانـ إـیرـانـ أيـ 18ـ مـلـيـونـ شخصـ وـهـؤـلـاءـ المـلـاـيـنـ لاـ يـوـجـدـ بـيـنـهـمـ وزـيـرـ أوـ مـحـافظـ واحدـ،ـ كماـ لاـ يـوـجـدـ سـنـيـ واحدـ منـ بـيـنـ أـعـضـاءـ هـيـئـةـ رـئـاسـةـ الـبرـلـامـانـ الإـیرـانـيـ،ـ وـمـنـذـ 27ـ عـامـاـ وـنـحنـ نـطـالـبـ بـالـتـرـخيـصـ لـبـنـاءـ

مسجد لأهل السنة في العاصمة طهران و لكن الحكومة ترفض الموافقة على هذا الطلب ". علماً أن الدستور الإيراني الذي وضع على أساس طائفية حرم المواطن السنّي من تبوء منصب رئاسة الجمهورية وجعل هذا المنصب محصوراً بأتيا المذهب الشيعي فقط.

وعن الأزدواجية التي يظهرها النظام الإيراني في ادعائه بالعمل على التقرير بين المذاهب الإسلامية يقول الشيخ عبد الحميد، إن مسؤولي مجمع تقرير المذاهب يسافرون إلى أماكن عديدة في العالم من أجل التبليغ لمشروعهم ولكن مع الأسف أن هذا المجمع لا يعمل في الداخل كما يظهره في الخارج وهذا الأمر يثير لدينا التساؤل حيث نحن في الداخل لدينا مشاكل عديدة تواجه هذا المشروع فلماذا لا يسعون إلى حلها أولاً؟.

مؤكداً أن رفع معاناة أهل السنة في إيران أهم بكثير من رفع شعارات التقرير والوحدة التي ليس لها واقع على ظهر الأرض في الداخل الإيراني.

بعد فشل تحقيق أهدافهم في تصدير ثورتهم عن طريق القوى العسكرية التي أفشلتها تجربة حرب الثمانية سنوات مع العراق، لجأ قادة النظام الإيراني ومرجعيات حوزاتهم الدينية، إلى سياسة اعتماد التفرقة الطائفية في البلدان العربية اعتماداً على جعل الحزب المذهبي وسيلة ليسهل عليهم عملية اختراق تلك البلدان ونشر الفتن الطائفية.

و هذا ما تؤكد حالة الاقتتال الطائفي التي مر بها العراق وتمر بها اليمن اليوم حيث يدور الاقتتال بين الحكومة وجماعة التمرد الحوثي الذين يتلقون أوامرهم من مرجعيات حوزة قم الإيرانية.

كما أن هناك مجادلات واتهامات حادة تدور حالياً بين بعض المتشيعين ورجال دين ومثقفين في عدد من الساحات العربية حيث يعتبر الكثير من المراقبين أن ظاهرة المتشيعين الجدد إنما هي حركة سياسية تقف وراءها أيادٍ إيرانية.

بطبيعة الحال هذا ليس اعتراضاً على الآخرين باعتناق ما يرونه مقنعاً لهم من الناحية العقائدية ولكن الاعتراض هو دخول هؤلاء المتشيعين في لعبة النظام الإيراني الذي يسعى إلى تصدير أفكاره السياسية تحت عباءة نشر فكر التشيع فيما هو يقمع بقوة أهل السنة الإيرانيين ويهدم مساجدهم ويغلق مدارسهم ويعتقل ويعذب علماءهم، ويمارس نفس الأسلوب كذلك مع الشيعة العرب الأحوازيين حيث يحرمهم من أبسط حقوقهم القومية ويعتقل ويعذب أبناءهم بتهمة البعثية تارة والوهابية تارة أخرى لمجرد أنهم لا يقررون سياسته الشعوبية.

و هنا يظهر نفاق النظام الإيراني الداعي للتقرير بين المذاهب من جهة، و قمعه لأهل السنة الإيرانيين واستغلال بعض الشيعة والمتشيعين لأهداف سياسية تخدم مشروعه الطائفي الساعي لإثارة الفتنة وتمزيق البلدان العربية، من جهة أخرى.

إيلاف

المصادر: